

التقريب والإصطلاح*

للدكتور

أحمد عبد الستار الجوّاري

به من مفاهيم وأفكار جديدة ان ملاحقة ما يصدر من تلك المفاهيم والمسميات يقتضى عملا دائما متصلا لا يفتر ولا يتوانى ولا يتوقف بحال من الاحوال . ولذلك تراهم يشكون من تباطؤ الهيئات والمؤسسات العلمية ولاسيما الجامع اللغوية التى هى المسؤولة اولا واخيرا عن اللحاق بركب التقدم العلمى فى العالم حتى لا يلتقى على اللغة العربية جريرة التخلف والعجز عن استيعاب العلوم والفاظها ومفاهيمها ومصطلحاتها .

وكثيرا ما يشكو هؤلاء من اختلاف الاقطار فى وضع مصطلحات العلوم او تعريبها على الاصح ، وينادون فى لهفة ونفاد صبر بلزوم العمل على توحيد المصطلح وتلاقى الجهود المشتتة بين الاقطار العربية وتوجيهها وجهة واحدة حتى لا تتبلبل الافكار ويضيع الدارسون فى تيه من السبل المتفرقة .

ومعلوم ان تفرق السبل ياتى من تفرق الاجتهاد وتنوع اساليبه والاسس التى عليها يستند . فمن الناس من يجعل المعاجم وما بين دفتيها من الفاظ جل وكسده وغاية همه ويرى فى الخروج عليها عبثا باللغة وانثاقا على اصولها .

ومنهم من يذهب الى ان الفاظ العلوم الحديثة جديدة على العربية طارئة عليها فلا يعقل ان ينتقب عما يقابلها فى المعاجم . حتى اذا وجد ذلك وجده بعيدا عن اذهان المتخصصين والدارسين ، بعيدا عن القدرة على

قد يتسائل كثير من الناس ماذا نصنع تجاه هذا السيل الفزير المتدفق من مصطلحات العلوم فى فروعها المنعددة وميادينها المختلفة ؟ انلجا الى قبول الالفاظ كما هى فى اللغات الاجنبية اكتفاء بها ودفعا لمشقة البحث عما يقابلها فى العربية ؟ ام نعود الى المعاجم نستنبط منها الفاظا قريبة فى معانيها من معانى تلك المصطلحات او موصولة الاسباب بتلك المعانى ونسو على سبيل الدلالة المجازية ؟ ام نتحرى الفصاحة والاصالة ونلتمس فى قديم الالفاظ ومهجورها ما يتصل بتلك المعانى ولو باوهى الاسباب .

اسئلة يطرحها كل يوم واقع الحياة الفكرية المتجددة التى يتسارع سيرها حتى لا يكاد التأمل والتفكير يلاحقها او يلحق بها .

وفوق كل ذلك يقوم سؤال كبير خطير الدلالة والايحاء .

هذا السؤال هو : كيف يمكن للعربية ان تبرز للحياة الفكرية المعاصرة فتستوعب ما تطلع به من جديد كل يوم ؟ وكيف يمكن العمل على اثراء الفكر العربى بالمفاهيم الجديدة ومدلولاتها ومعانيها بان يوضع لتلك المفاهيم الفاظ عربية يحس معانيها ويدرك مدلولها ، العربى الذى يتحدث العربية سواء كان مختصا معنيا بالعلم ام كان آخذا بحظ من الثقافة العامة ؟

يقول الذين يتبعون ما يكشف عنه العلم وما يطلع

* عن مجلة المجمع العلمى المراتى المجلد السابع والعشرون 1976 .

النفاز في صميم الفكر العلمي ، عاجزا عن أن يفرض نفسه على الناس بديلا للمصطلح الاجنبي . وبين هؤلاء وأولئك تضييع على الفكر العربي فرص ثمينة وتزداد مشكلات التعليم بالعربية تعقيدا على تعقيد .

لا بد اذن من وسيلة أو وسائل يحل بها هذا التناقض ويبلغ بها المعنيون بأمر المصطلح العلمي محجة واضحة لاخلاف على الالتزام بها والالتقاء في رحابها بدءا وانتهاء .

ولا بد لهذه المحجة الواضحة من معالم شاخصة يهتدى بها السالكون . ولعل من أهم هذه المعالم أن يكف الاساتذة المختصون باللغة عن ايثار الحوشي من الالفاظ مما لم يُعَد له في الحياة الفكرية المعاصرة مكان ، وأن يعمدوا الى ما يسهل النطق به على الدارسين وما يصل من حياتهم العقلية وحياتهم الحضارية بسبب ، وفي ذلك اقتصاد في الجهد وتأكيد للبقاء والامتزاج بالفكر . لان الفكر اذا استوحش لفظا او عبارة فانه لا يلبث ان يحاول نفيها والتخلص منها ، فاذا اتحمت عليه فقبلها ؛ قبلها كارها لها غير مرحب بها وغير انيس بصحبتها .

واللفظ الانيس سريع الوصول الى الفكر تسهل عليه العشرة وتلذ بها الصحبة ، ولنا في ما اصطلح عليه الكتاب الحكيم من الفاظ في العبادة كالصلاة والزكاة والبر والصدقة ، وفي التشريع كالمعتود والمواثيق ونحوها ، احسن اسوة في تخير الالفاظ التي يسيغها اللسان ويانس بها الفكر .

ولقد عاشت تلك الالفاظ وخلدت حتى اصبحت جزءا من حياة الناس سواء في ذلك من اتخذ منها طريقا للحياة ام لم يكن كذلك .

ومن أهم تلك المعالم ان يعمل واضعو الاصطلاح الى اساليب في اثناء اللغة واغنائها بأبنية جديدة لا ياباها البناء العربي للالفاظ وان لم ترد بمعانيها الجديدة في معاجم اللغة وفي مظانها الاخرى .

وبيان ذلك ان الفاظا في اللغات الحديثة تشبه في بنائها وترتيب حروفها ابنية عربية وردت لمان اخرى بعيدة عن معانيها أو قريبة . مثل لفظ (الكادر) الذي لم يعد ممكنا استبعاده من الاستعمال أو استبدال لفظ آخر به للدلالة على ما يدل عليه من معنى . مادته اللغوية موجودة ولفظه لا ياباها اللسان العربي ولا تنبو عنه الاذن ولكن مدلوله ومعناه شيء آخر مختلف عن

معناه في العربية . ماذا يمنع المعاصرين من ان يضيفوه الى الفاظ الحضارة الحديثة ولو عملا بقول القائل :
« اذا كنت مأكول الطعام فرحب »

ومثل ذلك لفظ (الكبينة) للدلالة على الحجر الصغيرة التي تقام لحاجات معروفة ككبينة الهاتف وكبينة الاستعلامات ونحو ذلك . وأمر هذه اللفظة اهون وايسر فان مدلولها اللغوي قريب من المدلول السدى تستعمل له في أيامنا هذه ، ومثلها المكينة .

واذا كانت العربية قد عرفت في عصور ازدهار الحضارة ما يقال له المولد من الالفاظ فان هذا العصر وما يجد فيه أولى وأجدر بان يحمل أهل اللغة على توليد الالفاظ مما لا ياباها البناء العربي للالفاظ ، فيكون في ذلك اثناء للغة ومواكبة لما يستحدث من مفاهيم في العلم وفي سائر فروع الحياة والحضارة .

على أن ثمة أمرا آخر يشير الى مقدار ما تركت العربية من آثار في اللغات القديمة كالاغريقية واللاتينية . فان كثيرا من الالفاظ والاصطلاحات العلمية قد نقلت عن العربية الى هاتين اللغتين وصار الذين أخذوها من أهل اللغات الحديثة ينسبوننها الى الاغريقية أو اللاتينية وهم يجهلون الاصل الذي اليه تعود .

من هذه الكلمات ما يعرف في علوم الطب والوراثة بـ (Gyamate) وهو عنصر الاخصاب في مادة التناسل . ومن العجيب ان معاجم اللغات الاوربية تنسبه الى الاغريقية . والاعجب ان لفظ (تمط) يستعمل للدلالة على هذا المعنى حتى في اللهجة العامية المراتية . ومن يرجع الى المعاجم العربية يجد التعميط بهذا المعنى العلمي أو قريبا منه . وهو لهذا جدير بان يأخذ مكانه في مصطلحات العلوم .

ومثله في هذا الباب الفاظ عديدة يكفى ان يلتقى فيها البناء اللفظي في اللغة الاجنبية مع مثله في العربية . كالنقرة (Nicrosis) والاكمة و (Acme) للدلالة على نفس معانيها أو قريب من تلك المعاني . ولا غبار على هذا الاسلوب في التعريب فقد قال اسلافنا تولتهم المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) .

ان ثمة حقيقة ماثلة شاخصة لا سبيل الى التفاضى عنها وهي ان اللغة العربية لغة شقيقة كبرى من الوجهة الحضارية والثقافية والفكرية للغات الاسلامية كالفارسية والاوردية والتركية وامثالها مما تعلق به

اسلوب العمل حتى تتدارك ما فات وتلحق ان شاء الله
بها هو آت .

وعليها ان تتجنب ما توغر سبيله على الدارسين
وما استثقلته الالسنه وعافه الاستعمال من غريب اللفظ
وحوشيه . وان لا تؤثر ما يؤثره بعض المتخصصين من
نقل الالفاظ الاجنبية كما هي ضنا بالجهد في البحث عن
الفاظ عربية سائفة مقبولة بل صدودا عن مزايا العربية
وقدراتها في الاشتقاق والتصريف وفي اتباع سبيل
السلف في اخذهم بأساليب موفقة كل التوفيق في اكتشاف
المصطلح كاضافة السوابق واللواحق واستعمال
المصدر الصناعي باضافة ياء النسب متبوعة بهاء التانيث .
فقد قالوا اللانهائية والقدرية والجبرية ونحو ذلك كثير .

ان جهودا قيمة في هذا الميدان قام بها ويقوم بها
المختصون من الجمعيين وغيرهم ، لو جمعت لخرج منها
ثروة فكرية واسعة ضخمة ، ولو ان هؤلاء الاماضل
تلاقوا على اساليب العمل واهدافه وضموا الجهود
بعضها الى بعض لقدموا الى الفكر العربي خدمة جليلة .

ولو انهم عمقوا الشعور بالحاجة الى المصطلح
العربي ليكون أداة العمل العلمي العربي المعاصر لبلغوا
من هذا الامر فوق ما بلغوا حتى الان . واذا صدق العزم
وضح السبيل .

شموب اسلامية يتلى فيها كتاب الله العزيز آتاء الليل
واطراف النهار . وهذه اللغات تنظر وتنتظر ما يفعله
العرب بالاصطلاحات العلمية حتى تفسح له في لغاتها
مكانا ومجالا للتداول والاستعمال . وأي تباطؤ أو تلكؤ
أو اهمال يصرف هذه اللغات الشقيقة الى اللغات
الاجنبية . وهي قد تكون اقرب اليها نسبا ولكن العربية
قد اصبحت جزءا منها فكرا وعقيدة وثقافة وحضارة .

وبعد فان الاصطلاح العلمي ما عاد امره مقصورا
على المختصين في ميادين العلم والمعرفة ، لغة يرطنون
بها في معزل عن المجتمع الواسع الذي يعيشون فيه .
ويمارسون فيه علاقات انسانية فكرية وشعورية ، وهو
يتسم اليوم بالفتح والانطلاق ويأبى على اهل العلم
والمعرفة ان يكونوا طبقة متميزة محدودة الصلة بمن
حولها من الناس . وصار لزاما عليهم ان ينهضوا بجانب
من تبعات الثقافة العامة التي يتشوف اليها كل مواطن
اصاب حظا من التعليم العام يتطلع من خلاله الى
الاحاطة بما يدور حوله في هذا العالم من تقدم العلم
والتقنية الحديثة .

واذن فان تضية التعريب والاصطلاح وظيفية
علمية اجتماعية لا بد ان تحظى بالناية اللازمة والاهتمام
الكبير . ويحسن بالجامع اللغوية بل يلزمها ان تتذكر
هذا الامر المهم لتقيم اساسا لعمل موحد وترسم

بَعْضُ الشَّوَابِ فِي النُّحُو

لِلْأَسْتَاذِ عَبَّاسِ حَسَنِ
عَضْوِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

على أعلى مقومات حياتهم ، وأن يخوطوها بسياج متين من اليقظة الدائبة ، والحيطة الوافية ، والتضحية الغالية ، حملت التاريخ الأمين أن يسجل لهم في أسمى صحائفه مالم يسجله لغيرهم من القدامى ، ويسدون عنهم مالم يدونه لسواهم .

لقد قضى هؤلاء وما انتضى فضلهم ، وغابوا عنا وما غابت آثارهم ولا انقطعت آثارهم ، فقد خلفهم اعلام اهتموا بهديهم ، وسلكوا المحجة على نور منهم وارشاد . ومن هؤلاء الاخلاف نحائنا السابقون ، جزاهم الله خير الجزاء بما قدموا واحسنوا واخلصوا لدينهم ولغتهم وعروبتهم .

ايها السادة :

ليس من شك أن التراث النحوي نفيس غاية النفاسة ، وأن الجهد الحميد الذي بذله رجاله والقوامون على اعداده ورعايته جهد لم يهيا لكثير من العلوم القديمة ، ولا يقدر على بذله واحتمال بعض اعبائه حشود من التراثين العجزة الذين يسارون عجزهم وقصورهم بغز النحو ، وطعن السابقين من ائمة الانداز ، وما انا بسبيل الكلام عن فضل النحو ، وتبيان آثاره في حياتنا اللغوية ، والدينية ، والحضارية فهو من هذا كله الدعامة الاولى ، والقانون الاعلى ، منه تستمد العون ، وتستلهم القصد السوي ، وتُهرَج اليه في جليل شؤونها ، وجوانب حياتها ، ولن تجد علما من

ايها السادة :

تحية الله وبركاته عليكم ، وخالص الدعاء ان يكتب لكم التوفيق الاسمى فيما انتم بسبيله . وانتهز الفرصة لازجي صادق الود ، وببالغ التقدير لاخوان كرام قدموا علينا فامتلت القلوب انسآ بهم ، وانتشت الافئدة بسرورا برؤيتهم ، وتحركت وشائج قرى اميلة ، وروابط مودات لا تزيدها الايام الا قوة وخلودا .

ولأمر ما وسرّ كامن يلتقى العربي اخاه العربي فينتفق وجههما غبطة وانشراحا ، وتفيض جوانب نفسهما بالارتياح والثقة والاطمئنان ، على حين يلتقى غير العربي — وان كان صديقا وفييا ، وزميلا مشاركا في نعماء الحياة ويؤسها — فيهش كلاهما للآخر ويكتفى من مظاهر الفرحه بهذا ، فشتان بين لقاء ولقاء ، وما اوسع البون بين هذا وذاك ، فهل لخبراء النفس ، واعلام الطب ، وحذاق الفهم ان يكشفوا لنا عن هذا السر الكامن الذي تزداد قوته على الدهر ، وتنمو على الايام خصائصه ؟ ولعلكم تسمحون لي بالجواب الى ان يأتينا منهم فصل الخطاب .

ان الاجابة تنحصر — او تكاد تنحصر — اللغه التي تؤلف بيننا ، وتجمع شتاتنا ، وتربط قلوبنا برباط من الصلة الدائمة ، والحب المقيم . فلم يكن عجيبا من اسلافنا — اجزل الله ثوابهم — ان يسهروا على خدمتها سهرهم على اعز نفائسهم ، ويحرصوا عليها حرصهم

(*) عن مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة الخامسة والثلاثين 1968 — 1969 .

علومها يستقل بنفسه عن النحو ، ار يستغنى عن معونته ، وارشاده ، ولا سيما علوم الدين ، والوصول الى مراتى الاجتهاد ، ولله ابن التبارى حيث يقول فى الفصل الحادى عشر من كتابه : «لعم الإدلة» ما نصه : «ان الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على ان النحو شرط فى رتبة الاجتهاد ، وأن المجتهد لو جمع علوم العربية لم يبلغ مرتبة الاجتهاد حتى يعلم النحو ، فيعرف المعانى والأحكام التى لاسبيل لمعرفة بغيره ، فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه ، لا تتم الا به» اهـ . ايها السادة :

لا يزهينا الثناء المردد على النحو ، ولا ينسينا ما داخله من شوائب اساعت اليه . ولست الساعة بسبيل حصرها ، واستقصاء ما تراكم منها . ولكنى اكتفى بالتمريج الى ثلاثة من كبارها كان لها ابرز الأثر فيما أصاب « النحو » من سوء ، وناله من مغامز .

وأولها : ما يسمى فى عرف النحاة «بالجمهور» يطلقونه على الكثرة الكاثرة من نحاة البصرة ، وتقابله القلة المغلوبة التى اشتهرت بينهم كذلك باسم : «الكوفيين» ، او «الكوفية»

وثانيها : ما ابتدعوا و اوغلو فيه من التأويل . والحذف ، والتقدير ، حتى استباح لنفسه امام منهم ان يقول : «لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير» . ويلفت بهم الجراة ان يطبقوا هذا على القرآن الكريم فى كثير مما خالف قواعدهم ، وخرج على ضوابطهم .

وثالثها : حال المشغلين بالنحو منذ القرن الثالث الهجرى حتى اليوم ، وموقفهم من انفسهم ومن هؤلاء . على ان هذه المناكر الثلاثة مترابطة متداخلة لا تكاد تنفصم ، وسأشير الى كل منها اشارة موجزة مفيدة ، وأومئ اليها ايماءة تكشف القناع عن سوء آثارها .

فأما البصرة والكوفة فلا يعينى من تاريخهما الا نشأتها الأولى فى القرن الهجرى الاول ، وان ميلاد البصرة اسبق من ميلاد اختها بيضع عشرات من السنين ، وانما فازت بالحظوة لدى خلفاء بنى العباس ولقد استرعى انتباهى وشغلنى طويلا أن أرى البصرة تفوز فى كثير من المسائل النحوية بالتنويه ، والاشادة ، والتقدير ، ولو كانت ابعد من الصواب . على حسين تخفق الكوفة فى انتزاع التنويه والاشادة فى تلك المسائل ،

مع أنها فى حكمها أدنى الى السداد واقرب الى الصواب . راعنى الامر وعجزت عن ادراك سره طويلا حتى هدانى اليه ، وكشفه لى عالم مؤرخ جليل اقدر فيه أنه ثبت العلم ، متحر فى حقائقه ، فقال : لا تنس أن الكوفة كانت مأوى الشيعة العلوية ، ومهبط انصارها ممن يخشاهم العباسيون اول نشأة دولتهم ، ونشأة النحو معهم ، ويخافون تأليبهم ، فراقبوا تلك المدينة ، اصحاب الراى فيها مراقة حازمة بطريقة ناجمة ، ولكنها هادئة . هى الاغداق على اهل البصرة وذوى الراى والوجهة من علمائها الاعلام وتقريبهم من مجالس الخلفاء ومراتب الحكم والجاه . فاقبل الناس على من اقبلت عليه الدنيا ونشروا آراءه بالحق وبالهوى ، وانصرفوا عن اعرضت عنه الدنيا ، فما اليه حاجة تبتغى ، ولا غرض يرتجى تحقيقه .

هذا ما يقوله المؤرخ الامين يفسر به الغامض ، ويجلو الخفى من الامر . وسواء اكان رايه تعليلا صحيحا للواقع أم بعيدا منه ، لا شك أنا نشهد اليوم آثار الطغيان البصرى فى كتب النحو قديمها وحديثها ، فما نكاد نقرأ بابا من ابوابه على كثرتها وتشعب مسائلها حتى نصدم بمثل قولهم : «هذا راي الجمهور ، وهو الصحيح ، خلافا للكوفيين» — «هذا راي البصريين ، وخالف الكوفية» — «هذا راي الجمهور وعليه الممول» وامثال هذه العبارات التى اكتفيت بما عرضته منها . نزولا على ضيق الوقت ، ومراعاة للمقام كما يقولون . وحسبى أن اعرض صورا تؤيد دعواى ، واتوصل بها الى ايضاح ما اريد :

(أ) فمن الامثلة ما جاء فى التوضيح وحاشيته ويكاد يكون نصه : « : يجب نصب المستثنى بالا فى لغة الجمهور اذا كان الكلام تاما موجبا ، كقوله تعالى : «فشربوا منه الا قليلا منهم» ولا يجوز رفعه الا بتأويل . ومما تناولوه بالتأويل قراءة من قرأ قوله تعالى : «فشربوا منه الا قليل منهم» برفع كلمة «قليل» وقوله عليه السلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا امرأة ، او مسافر او مريض) ، وقوله عليه السلام : (ما للشياطين من سلاح ابلغ فى الصالحين من النساء الا المتزوجون) ، وكقول أبى نواس فى مدح الامين .

ياخير من كان ومن يكون الا النبى الطاهر الامين

— واردفوا هذا البيت بقولهم : ان ابا نواس يستعمل فى شعره مذهب الكوفيين كثيرا وهذا من جملة مذاهيبهم — وقول الشاعر :